أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1ـ الجزائر
EISSN 2779-2940 ISSN....-.... المجلد 03 العدد 01 (مارس، 2021) ص07إلى 34

أدب الأوبئة وتجليات كورونا
في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر

Epidemiological Literature and Manifestations of Corona Virus in the Context of Contemporary Poetic Discourse Texts

د. حسين عمر دراوشة*

جامعة غزة- فلسطين hussin2013333@hotmail.com

تاريخ الإرسال	2020/12/21م	تاريخ القبول	2021/02/08م

ملخص

يهدف البحث إلى دراسة أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق الخطاب الشعري المعاصر، وذلك بالحديث عن أدب الأوبئة عند العرب من خلال فايروس كورونا، وبيان تجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري من خلال الشرح والتحليل للنماذج الشعرية المنتقاة في البحث، وتوضيح ما سبق بالمنهج الوصفي، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن التجليات السياقية حول وباء فايروس كورونا تنوعت في نصوص الخطاب الشعري وأبنيته، وتمثلت في تجليات اجتماعية وطبية ودينية وتاريخية وسياسية ومقاومة واقتصادية وإعلامية؛ لها تأثيراتها في تكوين التوجهات وتبليغ الدلالات وتدعيم مشكِّلاتها التي ترتبط بالوباء ومكوناتها، يبرز أدب الأوبئة التحولات الرئيسة ومعطياتها في المجتمعات البشرية، ويبرهن على مختلف الأطروحات وتداولياتها بين أبناء المجتمعات وفق تصوراتها المختلفة وتصرفاتها الحضارية.

الكلمات المفتاحية: أدب الأوبئة؛ تجليات كورونا؛ نصوص الخطاب الشعري.

Abstract

The present research aims to study the epidemiological literature and the manifestations of Corona virus in the context of contemporary poetic discourse. Through the analysis and clarification of the poetic samples selected in the research, the researcher explored the Arabs epidemiological literature through the Corona virus, and discussed the manifestations of Corona in the context of poetic discourse texts. The study adopted the descriptive approach. Findings of the study are as follows: The contextual manifestations of the Corona virus epidemic varied in poetic discourse texts and structures, in social, medical, religious, historical, political, economic and media. It has effects in forming trends, informing the indications, and strengthening its constituents related to the epidemic and its components. Epidemiological literature highlights the main transformations and their implications in human societies. It proves the various issues among societies according to their different perceptions and civilized behaviors.

Keywords: epidemiology; Corona manifestations; texts of poetic discourse

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

يعد الأدب شاهداً حيّاً في التعبير عن الحياة الإنسانية وتمثيل تصوراتها في مختلف الظروف الحياتية، فيكشف لنا عن خصوصيات كل عصر وما يتعلق به من معطيات ومضامين ومشكلات لها حضورها في الوجدان الإنساني العام. فالناظر إلى طبيعة الأدب العربي عبر التاريخ يجد فيه ضروباً متنوعة من الاستدلالات والتعابير والإيحاءات التي تتعلق بحياة الإنسان وشتى تطلعاته عبر عوالم وتقنيات دلالية تصور حاجات النفس وأحوالها، ويبرز ذلك بوضوح عند الحديث عن الأوبئة والابتلاءات التي يعرض لها المجتمع العربي وشعوب الأرض، فأبدع الأدباء في حياكة الخطاب الأدبي حول الأوبئة التي انتشرت في عصورهم، وأنتج الأدباء خطاباً خصباً حول جائحة فايروس كورونا المعاصر الذي أصاب البشرية جمعاء، فتداعت أقلام المبدعين تصف وتشكِّل وتسرد طبيعة هذا الوباء في متن نصي له توجهات سياقية مختلفة، ونجم عن هذا الوباء تحوُّلات على مستوى التفكير والأداة والأسلوب والتصور والتجلي، فأثر ذلك في العاطفة والخيال، وطريقة الحديث عن موضوع الوباء التي اتّخذها الشعراء في أبنية نصوص خطابهم، فبرز وباء كورونا في تجليات متنوعة عبر سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في محاولة تسليط الضوء على أدب الأوبئة، والتعبير عن الآثار الأدبية لوباء فايروس كورونا، والتعرف على التجليات السياقية وأنواعها حول وباء فايروس كورونا، وتقديم صورة عامة عن انعكاسات الوباء على الحالة

الإبداعية، وإضافة دراسة جادة جديدة لمكتبة الأدب العربي المعاصر ترصد التحولات عبر التجليات السياقية؛ ليتسنى للباحثين والدارسين وجهات الاختصاص الاستفادة من البحث ومحاوره وأفكاره.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى طرح موضوع أدب الأوبئة، واستعراض جهود الأدباء القدماء والمحدثين في ذلك، مع التركيز على وباء فايروس كورونا، والوقوف على مضامين الخطاب الشعري في فايروس وباء كورونا، وتحليل تجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر.

منهج البحث

يستخدم البحث المنهج الوصفي القائم على التحليل والدراسة، واتّخاذ نماذج شعرية من قصائد منتقاة لإبداعات الشعراء المعاصرين، والتي تمثلتْ في قصيدة "كورونا" للشاعر سالم قريشع، وقصيدة "طاف الوباء بقاع الأرض"، وقصيدة" كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..." للشاعر نوري الوائلي، وقصيدة "كورونا" للشاعر إسماعيل خوشنار.

2. أدب الأوبئة - كورونا أنموذجاً.

لم يكن أدب الأوبئة وليد اللحظة إنما له جذوره وامتداداته التاريخية في حياة البشر؛ ليعبر عن آلامهم وآمالهم في لحظات الضعف البشري أمام الأوبئة والجوائح. فقد تحدث أدباء العربية القدماء عن: "أحوال الطاعون الذي حلّ بعمواس والقاهرة"(ابن الأثير، 1997: 376/2 وابن تغردي، 1990: 183/1)، كما تناولته وتطرقت إليه كتب التاريخ والأدب. ولم تكن الأوبئة التي تحل بالبلاد والعباد بعيدة عن الأدب وتعبيراته، بل إنَّ أدباء اللغة العربية القدماء والمحدثين قد كتبوا كثيراً من الروايات التاريخية، والأجناس الشعرية والنثرية التي تعبر عن واقع الوباء

وتستجلي معالمه، وتنطلق الزفرات الشعرية والمقصدية واللغة المجازية عبر ذوات الأدباء وتطلعاتهم ورؤاهم، فيبرز الكلام في: "صورة متجسدة، ويعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ"(أدونيس، 1985: 46)؛ ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن الوردي عن طاعون الشام الذي مات فيه (ابن الوردي، 2006: 89):

إن الوباء قد غلبا ... وقد بدا في حلبا
قالوا له على الورى ... كاف ورا قلت وبا

وقال أيضاً:

الله أكبر من وباء قد سبا... وصول في العقلاء كالمجنون
سنت أسنته لكل مدينة ... فعجبتُ للمكروه في المسنون

ويمثل ذلك صرخات إنسانية تنم عن عمق التأثير الوجداني في حمل الألم والوجع، وبث مشاعر الحزن والمناجاة الربانية في تفريج الكرب وإزالة الغم، وانجلاء الوباء الملعون من الطاعون، فاختزل أدب الأوبئة المشاعر الإنسانية العميقة التي تمثل فلسفة الحياة حين يصغر الكون وتتشكل الرؤية أمام ناظر المبدعين؛ فيترجم الأدباء مواقفهم من الحياة، ويُؤثر ذلك على: "التكوين اللساني في التعبير، والتشكِّيل الجمالي في التصوير الشعري؛ لأن الصورة وسيلة لتكثيف الأثر الجمالي"(ناظم، 1994: 84)، ويصور المتنبي مرض الحمى ذلك الوباء الذي ضرب مصر؛ فيقول:(المعري، 2008: 1324):

وزائِرتي كأنّ بها حياء ... فليس تزور إلا في الظلامِ
بذلْتُ لها المطارِفَ والحشايا ... فعافتْها وباتت في عِظامي
يضيقُ الجِلدُ عن نفسي وعنها ... فتوسِعهُ بأنواعِ السّقامِ
إذا ما فارقَتْني غسّلَتْني ... كأنّا عاكِفانِ على حرامِ
كأنّ الصُبحَ يطردُها فتجري ... مدامِعُها بأربعةٍ سِجامِ
أراقِبُ وقتَها من غيرِ شوقٍ ... مُراقبةَ المَشوقِ المُستهام
ويصدُقُ وعدُها والصّدقُ شرٌ ... إذا ألْقاكَ في الكُرَبِ العِظام

ففي هذه الأبيات تجسيد تصويري مقلق اشتمل علي صوت شعري معبر له إيحاءاته الشعورية الوجدانية في الذات المبدعة. ويثير أدب الأوبئة الصوت المهموس في صلب الطرح الإبداعي وتداولياته، فقالتْ نازك الملائكة في قصيدتها "الكوليرا"(الملائكة، د.ت: 36):

طلع الفجر
أصغ إلى وقع خطى الماشين
في صمت الفجر، أصغ، انظر ركب الباكين
عشرة أموات، عشرونا
لا تحص، أصغ للباكينا
اسمع صوت الطفل المسكين
موتى، موتى، ضاع العدد
موتى، موتى، لم يبق غد
في كل مكان جسد يندبه محزون
لا لحظة إخلاد لا صمت
هذا ما فعلت كف الموت
الموت الموت الموت
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

يتجلى الشعور بالألم وقمة الوجع في الإفصاح عن مكنون الذات المعذبة التي تئنُّ تحت نير الوباء الذي لا يرحم، فتنتشر ضروب النهايات غير السعيدة بين البشر، فتتجلى تصورات الموت بمختلف ضروبها في أتون الأجناس الأدبية المنتجة حول الأوبئة، وقد عبّر طه حسين في سيرته الذاتية "الأيام" عن انتشار وباء الكوليرا في مطلع القرن العشرين، ووصف لوعة فراق أهل بيته لأخيه طالب الطب بسبب هذا الوباء؛ فقال: "هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً، ودمّر مدناً وقرى ومحى أسرةً كاملةً"(عبد الرزاق وفياض، 2020: نت)، فصور الأدب والشعر العربي حالة

الهلع والرعب التي اجتاحت بلدانا بأسرها فحصدت فيها الكوليرا أرواح بشر كثيرين، ومنه ما نظمته الشاعرة العراقية نازك الملائكة في قصيدتها "الكوليرا" التي تناولت فيها انتشار الوباء بمصر عام (1947م)، وتحدث أحمد شوقي في مسرحيته "شريعة الغاب" عن الوباء الذي جلبه الحمار للغابة، كما نظم الأديب والشاعر لويس صابونجي قصيدة تتحدث عن انتشار الوباء في بلاد الشام ووصوله إلى الجزيرة العربية نهايات القرن التاسع عشر، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نظم الأديب التركي أورهان باموك روايته "القلعة البيضاء" يصف فيها انتشار الكوليرا في اسطنبول العثمانية، وتراجع أعداد موتى الوباء بعد إجراءات الحجر الصحي.

ومن جهة أخرى يحاول أدب الأوبئة بعث الأمل والحياة والحب بعيداً عن رائحة الألم والموت والعذاب، فكتب الأديب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز رائعته "الحب في زمن الكوليرا"، فتحدث فيها عن انتشار الوباء في مدينته الخيالية التي تدور فيها أحداث الرواية في إشارة إلى أمريكيا اللاتينية في نهاية القرن التاسع عشر، وعبر في رائعته "مئة عام من العزلة" عن الخيال الخصب الذي أطلق فيه وباء الأرق والنسيان على سكان قرية ماكوندو المنعزلة عن العالم.

وألّف الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو روايته "مجلة الطاعون"، ووفر أدب الأوبئة مساحة خصبة للخيال العلمي والديستوبيا، وذلك نحو ما كتبه ماري شيلي في روايته "الرجل الأخير"، والكاتب الأمريكي جيم غريس في روايته "بيت الآفات" التي تصف انهيار المجتمع الأمريكي الذي يضربه وباء الطاعون في زمن مستقبلي متخيل.

ويُلاحظ حضور الأدب الديستوبي في العالم العربي، فقد كتب الروائي المصري محمد ربيع روايته "عطارد" التي تحدث فيها عن انتشار الكوليرا وأنفلونزا الحمير؛ ليدل على الموت الذي يحصد سكان القاهرة بشكل مرعب ومخيف عبر كوابيس مظلمة، ولم يفتأ أدب الأوبئة يجسد الرعب حيث كتب أحمد خالد توفيق في كتابه "العرّاب" ضمن سلسلة "سفاري" كثيراً عن الأوبئة، واستخدم أسلوبا

حقيقيا وخياليا، وأجرى أدب الأوبئة الحديث على لسان الطيور؛ فبرزت كتب تحمل عناوين تدل على ذلك نحو "عن الطيور نحكي"، و"الموت الأصفر"، فهذه ترميزات دلالية تبعث روح السكينة بعيداً عن الرعب من خلال إسقاطات دلالية واعية.

وكتب خوسيه ساراماغو البرتغالي روايته "العمى" وصف فيها وباء يحصد أبصار الناس، فوظّف الكاتب أسلوب الرمز في تجسيده للعمى البصري بعمى الفكر، وهشاشة الأخلاق ومبادئ الإنسان في أوقات الحاجة والذروة، ووظف الفرنسي ألبير كامو في روايته "الطاعون" أسلوب الرمز في وصفه التخييلي لتفشي الطاعون في مدينة وهران الجزائرية في أربعينيات القرن العشرين؛ فيقول في خاتمتها: "بكتيريا الطاعون لا تموت ولا تزول أبداً، وأنها يمكن أن تبقى عشرات السنين نائمة في قطع الأثاث والغسيل، تنتظر بطول أناة في الغرف والأقبية وصناديق الأمتعة والمنادب والورق، وقد يجيء يوم، لبلية البشر وعبرتهم، يوقظ فيه الطاعون جرذانه، ويرسلهم كي يموتوا في مدينة هانئة"(عبد الرزاق وفياض، نت)، وصوّرت الكاتبة الأمريكية كاثرين آن بورتر في روايتها "حصان شاحب فارس شاحب" مرض الأنفلونزا الأسبانية عام (1918م)، التي فتكت بكثير من البشر، فصوّرت فيها تصويرات رائعة لأحداث الوباء، وكتب اللبناني ربيع جابر في روايته "أميركا" عن صور مؤلمة للوباء الذي عايشه العرب المهاجرون في أمريكا؛ حيثُ تمر يومياً عربات تُنادي على الناس في البيوت؛ لإلقاء جثث الموتى من الشبابيك بعد طغيان المرض وتفشيه لدرجة يصعب فيها قبر كل إنسان على حدة، فهذه المشاهد المرعبة والمخيفة وجدت طريقها في تصورات وتمثيلات لها دلالاتها الحزينة والتي تمثل الوجدان البشري خير تمثيل.

ويُطالعنا في الأدب الأجنبي كذلك ضروب من أجناس أدب الأوبئة، فكتب دانييل ديفو عام (1722م) رواية بعنوان "دفتر أحوال عام الطاعون"، وثق عبر هذه الرواية اجتياح الطاعون لمدينة لندن عام (1665م)، وقدّم لها بمقدمة تاريخية تفصيلية على نحو أليم يبعث الحزن والقشعريرة في أوصال الإنسان لفظاعة أحداثه ومجرياته، وبدأت أحداثها عندما "تواترت شائعات بشأن عودة هذا النوع من الأوبئة إلى إحدى المقاطعات الهولندية بحسب الأحداث، يتلو ذلك حدوث أول حالة وفاة يُشتبه في أنها ناجمة عن الوباء في ديسمبر/كانون الأول من العام نفسه"(بي سي، 2020: نت)، وألّف الروائي السوداني أمين تاج السر روايته "إيبولا 76" عام (2012م)، يصف فيها وباء إيبولا الذي ضرب الكونغو، والذي امتد إلى مدينة أنزارا في جنوب السودان.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الأدب سيظل وثيقة اجتماعية متفاعلة لها أساليبها في رصد التحولات البشرية في ثقافات الشعوب وحضارات الأمم، لأنّ الأدباء يتطرقون في إنتاجاتهم الإبداعية لمجمل المحاور والموضوعات والأفكار التي تُبنى عليها الأجناس الأدبية في طرحها، وطريقة تناولها، ووصفها، وسردها للحدث الأدبي الذي تدور حوله؛ بمعنى أن الوباء يمثل معادلاً موضوعياً نسج عبره الأدباء تعابيرهم الأدبية، وما يتصل بها من استدلالات واقعية، لها تمثلاتها في أسلوب الخطاب الأدبي؛ بالإضافة إلى القدرة على صياغة المعمار الفني للجنس المتداول الذي يتم من خلاله الحديث عن الوباء، واستعراض تكويناته، وتصوير آثاره في نفوس الجماهير، وتجلياته في التفكير الجمعي عبر أدب الأمة المنتج، وارتباطاته على شتى الأصعدة والمستويات والمناحي.

وثمة إشارة محورية إلى مكنون أدب الأوبئة وارتكازه في تشكّيلاته الجمالية وتصوراته على دقائق المؤثرات النفسية التي تثير حفيظة المبدع وتستدعي عمق خياله؛ بمعنى أن مادة التخييل في أدب الأوبئة ذات مرجعيات مركزية في تجسيد

الأحاسيس والمشاعر عبر الإسقاطات في عوالم، قد ترتبط بالنواميس واللاهوت؛ بمعنى أن المبدع يجنح إلى تصوير القدرة الإلهية المقدسة، وتأثيراتها في مجريات الحياة وضروب العيش، فتسمو الروح من عالم المادة إلى عالم جمالي ترجع فيه إلى أصولها الحقيقية، وذلك بمزج معطيات الواقع بالخيال الذي يمثل الصورة الوجدانية والعاطفية في أدب الأوبئة، ويبرزها في حلة إنسانية ذات ثيمات لها حضورها اللافت في المنتج الأدبي وتشعباته في سياق نصوص الخطاب الإبداعي.

ويمنح أدب الأوبئة المبدعين مزيداً من النبوءات التي تتعلق بفايروس كورونا وما يتعلق به من تكهنات حول الحال والمآل الذي ستَؤُول إليه البشرية، و يُرافق ذلك –بالطبع- حالة من الفزع عند الجمهور، وترتجف الأوصال في الوجدان الإنساني أمام عظمة الوباء وانتشار البلاء، ويمنح ذلك أدب الأوبئة ميزة خاصة في الحديث عن: "التصورات التي تلعب فيها الوجدانية بدرجة عالية في التعبير إلى جانب الخيال"(عيد، 1978: 177)، والبحث عن الحلول في الذوات المبدعة التي بإمكانها أن تضع الخطوط العريضة، وتجسد مجريات الكون، وطبيعة المرحلة التي يحياها إنسان العصر؛ لأن الأدب تعبير صادق له إيحاءاته عند اشتداد الألم البشري، وانتشار الموت والوجع بين مختلف الأمم والشعوب، ويمنح ذلك سمة العالمية لأدب الأوبئة وتفاعلاتها التي تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ في مسارح أحداثها، ومكونات مجرياتها في الذاكرة الإنسانية الحيّة التي منحها الموت ضروباً من فصول الحياة الجديدة في عوالم منفتحة يمتلك فيها البشر كثيراً من الأدوات المتفاعلة على صعيد عوالم التواصل والاتصال الاجتماعي، وما ينتج عن ذلك من أدب تفاعلي عبر شبكات الحوسبة التي تربط بين أبناء البشرية جمعاء.

ويلاحظ غزارة الإنتاج الأدبي، وتنوع الخطاب الأدبي ومستوياته في الأسلوب المبدع، بعد أن سمحت شدة وطأة أدب الأوبئة بظهور أجناس أدبية تنتمي للشعر

والنثر، وفي المقابل هناك مساحة كبيرة على الساحة النقدية لظواهر لا تنتمي لعوالم الشعر أو النثر، فظهر النثر الشعري، واللا-رواية، واللا- شعر، وكثرت المنثورات حتى أصبحت غالبية الخطاب الأدبي ذات منحى نثرياً، يتمثل في الرسائل، والمقالات، والخواطر، والومضات، والقصص القصيرة، وما إلى ذلك من إبداعات تُؤطر لأدب الأوبئة ومعطياته في فايروس كرونا المستجد.

ويرتبط أدب الأوبئة بالبنية الفكرية والتوجُّه الأيديولوجي للمبدع، شأنه في ذلك شأن ضروب الأدب الأخرى، وينتج عن ذلك اتّجاهات أدبية لها حضورها اللافت في بنية نصوص الخطاب ومختلف سياقاته ومقاماته؛ لأن الاتجاه في حد ذاته يشحن الدلالة الأدبية وإنتاجاتها السياقية في مختلف أجناس الأدب والفن، ويعود ذلك إلى طبيعة التمثلات الدلالية، وما يستدعيه من تصورات لها اتّصالاتها بالذات المبدعة، واللغة المستخدمَة، والأسلوب والتعبير، وما يحمله في ثناياه من استدلالات وترميزات لها إيحاءاتها في ثنايا المنتج الأدبي وخطابه المتداول؛ ويبرز ذلك في خلفية المبدع الفكرية والثقافية التي يمكن من خلالها تصوير الحدث الأدبي وسرده بأسلوب معيَّن، ووصفه بألفاظ ومفردات ترتبط بما يُؤمن به ويحاول أن يعبر عنه، ويترجم عبره مشاعره وأحاسيسه الوجدانية التي يجيش بها قلبه، وتدور في خلده، وفي بُنيات أفكاره وعقله، ويرسم بذلك صورة متفاعلة لها حيثياتها وبصماتها في المنتج الأدبي الذي يستعرض طبيعة وباء كورونا وما يتعلق به من آثار وانعكاسات على الفرد والحياة؛ لأن: "التصوير يقرّب الفكرة للناس"(ناظم، 1994: 84).

ويُلاحظ أن أدب الأوبئة مشحون بالرُّوى الأدبية التي يختزلها في ألفاظه، وتصوراته، وتمثُّلاته، وترميزاته، وإسقاطاته وما يتعلق بذلك من مرجعيات نصيّة كالتناص، ومرتكزات تأويلية تتعلق بالنسق والأسلوب الكتابي كالفراغات التأويلية، والمفارقات الدلالية، واستخدام الطلب والتساؤل غير محدد الإجابة في متن أبنية

نصوص الخطاب الأدبي، فيكون المتلقي إزاء فضاء من الاحتمالات الدلالية، وتتحول الكلمة إلى إشارة، لا لتدل على معنى فحسب، وإنما لتثير في الذهن: "إشارات أخرى، وتجلب إلى داخلها صوراً لا يمكن حصرها"(شعبان، 2004: 26).

ويقود ذلك إلى تفاعلات بين دوائر العملية الإبداعية من مبدع ونصّ ومُتلَقِّي، وتحوي هذه التفاعلات علاقات ذات أقطاب، تتقاطع فيها رسائل النص وشيفراته الدلالية، ومقاصده التبليغية، فينتج أدب الأوبئة نصوصًا متفاعلة مع طبيعة الحدث المتفاعل أصلاً، والذي يستدعي العقل والفكر والوجدان، وكل حواس الأديب في تكوين الفكرة وشحنها، وتمثيل الصورة وتقريبها لحس جمهور المتلقِّين، فينتج عن ذلك حالة من الصدق الفني لطبيعة النص المنتج حول وباء كورونا المعاصر؛ لارتفاع اللغة العاطفية التي تبرز المعنى وتوضحه، وتشحن الخيال بالرؤى والتصورات التي ترتقي بالنواحي الموضوعية والفنية ومعماراتها في شتى نصوص أدب الأوبئة ومعطياته في الحركة الأدبية المعاصرة؛ لما تمثله العاطفة والخيال والتعبير والأسلوب من مشكِّلات أساسية، ومقوِّمات رئيسة تدور حول المنتج الأدبي بمختلف أطروحاته وتداولياته بين أقطاب العملية التواصلية في الأدب والفن؛ مما يرفع من درجة أدبية الأدب عبر البحث في: "مجموع الآليات والإمكانيات الفنية والجمالية التي تميز العمل الأدبي من جوانبه كافةً مع الممارسات اللغوية الأخرى"(بوخالفة، 2010: 371).

ويحمل ذلك في طيّاته دلالات استراتيجية مثَّلها أدب الأوبئة بانفتاحه الإنساني على عالم البشر قاطبةً؛ فأمام الوباء تتشارك الإنسانية، وتعود إلى أصلها، فلا ينفصم الأدب في التعبير عن ذلك، بل يرسم صورة الإنسان وعلاقاته الحضارية أو غير الحضارية حيال وباء كورونا الذي لا يميز بين البشر، ولا يعرف الحدود والسدود، ويجسد ذلك محوراً موضوعياً متفاعلاً تُبنى عليه الآداب

العالمية بين الأمم؛ لأنه من القيم المشتركة التي تبرز الحس الإنساني والشعور العالمي في مواجهة الأخطار، وإنقاذ ملايين البشر.

وأمام الجوائح تبرز القيم المحورية في التعبير والتمثيل الجمالي وفق تطلعات أدبية لها آثارها وبصماتها في واقع الحياة، وتأثيرات الأوبئة وانعكاساتها على حياة الإنسان، فتختلط الألسن، وتتقارب الثقافات نتيجة التبادل والتلاحم في وجه وباء كورونا، ومن أبرز الأمثلة على ذلك في الأدب العربي أنه أحيا التداول اللغوي الفصيح عبر سياقاته ومقاماته، وتطرق الأدباء والنقاد واللغويون للأساليب اللغوية والمفردات المعجمية الجديدة التي أثرت قاموس العربية، ولاحظوا أن أدب الأوبئة قد أسهم في إحياء المفردات الفصيحة، وإضافة المستجدات اللغوية عبر الاستدلالات، والتصورات، والتمثلات، من خلال التصوير، والخيال، والمجاز، والإسقاط، والتناص، واستدعاء التراث، فكل ذلك يُبشر باستعمال لغوي حديث، يُضاف إلى رصيد اللغة العربية وتراكمية معرفتها عبر التاريخ والزمن.

ويتّضح لنا مما سبق، أن الأوبئة تمثل مادة أدبية خصبة يمكن من خلالها ممارسة الإبداع، وإثراء المشهد اللغوي والنقدي والبلاغي، لأنها تمنح المبدع محاور وأفكار ومضامين لها تحولاتها الفكرية والثقافية والوجدانية التي تمثل مشاعر الأديب وأحاسيسه وانطباعاته ورؤيته حيال الوباء، وينعكس ذلك على طبيعة اللغة والأسلوب المستخدم في التعبير، وطريقة توصيل المعنى لجمهور المتلقين، فيُؤثر الوباء على التشكيل الجمالي من ناحية بينة الأدب وتكويناته اللسانية والدلالية عبر الألفاظ والتراكيب والمفردات المعجمية وما يتعلق بها من علامات لغوية لها دوالها في ذهن المبدع والمتلقي.

3. أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري

أبدع أدباء العصر الحديث في التعبير عن ظاهرة الأوبئة عند ظهور فايروس كورونا المستجد على الساحة العالمية، ولم يقف أدباء اللغة العربية في إبداعهم الشعري حول الوباء في سياق نصوص خطابهم وأبنيته اللغوية، بل إنهم قد برعوا في رسم صورة فايروس كورونا في طيّات منجزهم الشعري، وقد حاول البحث تقصّي هذه التجليات مع ضرب نماذج وأمثلة عليها من الإبداع الشعري، والعمل على بيان التجليات السياقية الوجدانية التي برز من خلالها فايروس كورونا، والقيام بتحليلها، وذلك على النحو الآتي:

3. 1. التجلي الاجتماعي

يمثل الأدب والفن صورة متفاعلة عن المجتمع؛ لأنه الوسط الذي يعبر من خلاله وعن طريقه يمكن رسم ملامح التجربة الأدبية والرؤية الفنية للمبدع، فبرزت الأوبئة في محيطها الاجتماعي عبر التعبيرات اللغوية وأنساقها في سياق نصوص الخطاب الشعري، وما يرتبط بذلك من إفرازات دلالية لها مكوناتها وتأثيراتها في أداء رسالة النص؛ فيقول الشاعر نوري الوائلي في قصيدته " كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..."(الوائلي، 2020: نت):

يبقى جهادهمُ كغيثِ غمائم... يجري مداداً والغمائم تكبرُ
حزني عليهم حزن أمٍّ أُثكلتْ ... بوحيدها يوم الزفاف وتنكرُ
كنتم إلى ألم الجوارح بلسماً... واليوم أنتم للمفاخر مفخرُ

تحدث الشاعر عن حالة الاجتهاد المجتمعي في تطويق المرض ومكافحته، وبيّن مشاعر الحزن والأسى في الفقدان والموت وانعدام الفرح، وأشاد بحالة المواجهة التي يقوم بها أبناء البشر في مواجهة البلاء القاتل، فأجرى حواراً درامياً مع الحدث الأدبي المتمثل في فايروس كورونا، وكل ذلك يوحي بالرسائل المتفاعلة

التي يضفيها الشاعر في سياق أدبي يحتوي على تفاعلات دلالية لها مقاصدها بين أقطاب العملية الإبداعية وتواصلاتها عبر النص.

وفي سياق آخر، يظهر الخطاب الشعري حالة المجتمع من جراء العزلة والتزام البيت، فيقول الشاعر سالم قريشع في قصيدته "جائحة كورونا"(قريشع، 2020: نت):

يا ويح جائحة الزمان إن اعتدت ... من ثلة بعلومنا قد اهتدت
الناس تلتزم البيوت تسمرت... وهم الذين حياتهم قد أزهقت

يطلق الشاعر نداءً يخاطب فيه جائحة كورونا، ويبيّن مكانة العلوم التي تمتلكها المجتمعات في مواجهة أصناف الموت عند حلول الكوارث والأوبئة، ويدل السياق على حالة الموت التي دبت بين أبناء المجتمعات البشرية وحصدت كثيرا من الأرواح أمام العجز الواضح في التصدي لمخاطر الجائحة، والحد من انتشارها حفاظاً على أرواح كثير من البشر، أما الشاعر إسماعيل خوشنار فيقول في قصيدته "كورونا"(خوشنار، 2020: 10):

غدا الفجر
لا نظرة تعانقه
والوحشة
احتلت كل صوب
من المدينة

يبيّن الشاعر حال العبادات والصلوات التي تحل عند وقت الفجر، ومع بداية اليوم في الصباح الباكر، ويصور حالة الفجر الحزين الذي لم يلبِ ندائه أهل الإيمان والعارفون، تلك الوحشة الروحية والبشرية التي ضربت النسيج الاجتماعي، والتي باتت تؤرق حياة المدن التي دب فيها الرعب والسكون، وتلك إشارات دلالية عميقة تستلهمها النصوص عبر سياقاتها ومقاماتها، وتزداد الكثافة

الاستدلالية عبر التصورات والتمثلات التي يجريها الشاعر في نصوص إبداعيه، ويمنح ذلك النصوص طاقة إبداعية خلّاقة لها آثارها في عملية التلقي وتذوق جماليات الإبداع.

3. 2. التجلي الطبي.

ظهر فايروس كورونا في سياق طبي له تعبيراته الموحية في الخطاب الشعري عبر الأطروحات والمضامين التي يشتمل عليها، ويختزلها في أبنيته اللسانية واللغوية، فحاول الأدباء تجسيد الوباء في تصويراتهم الشعرية، وترجمة مشاعرهم الإنسانية والوجدانية تجاه وباء كورونا، ويمثل ذلك خاصية بارزة في أدب الأوبئة في تناول طبيعة الوباء، والحديث عن المعطى الطبي فيها، والجهود المبذولة في ذلك، والأساليب المستخدمة، فقال الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..."(الوائلي، 2020: نت):

ومخافة العدوى العوائل فارقوا... لم يلتقوا خلّاً ولمْ يتذمروا
فأخذتَ منهمْ للممات كواكباً ... رغم الأفول بها الورى تتنوّرُ
هذا قتيلٌ ذاك يعلقُ جُرحَه ... والطبُّ حتّى الآن حابٍ يَعثرُ

يصور الشاعر حالة المأساة الطبية التي وقفت عاجزة أمام السيل الجارف من الوباء الذي شتت جموع البشرية مخافة انتقال العدوى، واستشراء الوباء، وتفشيه بين الخلائق، ويبيّن الحالة الطبية التي آلت إليها الحياة بفعل فايروس كورونا القاتل وآثاره المدمرة على صحة البشر دون تمييز، وفي التعبير الشعري إيحاءات مفتوحة تدور حول المرض وتداعياته الخطيرة على الصحة العامة لأبناء المجتمعات، كما في أبيات الشاعر سالم قريشع من قصيدته "جائحة كورونا"(قريشع، 2020: نت):

وكأن ساعات الزمان توقفت ... والناس كل عن خليل أعزفت
لكن جنداً بالعلوم تسلحت... ولحرب جائحة تنادت وسددت

لا يعرفون الليل جن أو انجلت ... ساعات يوم من نهار وانقضت
في كل جنبات المشافي سجلت... وكل آهات العليل أبرأت
للطب نرفع راية والصوت ... بدعائنا لهم الحياة قد انجلت
لهم التحايا من جمع أرسلت... من قلبها وعيونها قد اعتلت

يصور الشاعر حالة الدفاع الطبى في أصحاب الملابس البيضاء، واستدعائهم لكامل قواهم في مجابهة وباء كورونا القاتل، ويبيّن ضرورة التسلح بالعمل في إيجاد الحلول الطبية المبتكرة في مواجهة جائحة كورونا، والحد من آثارها على صحة البشر، ويعتز أدب الأوبئة بصنيع الأطباء وجهودهم الجبارة في سعيهم الحثيث لأداء رسالتهم الإنسانية، والقيام بمهامهم حيالَ وباء كورونا وتداعياته على الصحة المجتمعية، ويُلاحظ الاستخدام المباشر والدلالة الموحية لطبيعة المفردات الطبية في سياق نصوص الخطاب الشعري المنجز، وما أفرزه السياق من دلالات لها ارتباطاتها العميقة بالعمل الإنساني الطبي وحيثياته في مواجهة تأثيرات كورونا وتداعياتها على حياة البشر، فتتجلى القيمة الدلالية لطبيعة الألفاظ وحقول المفردات من الناحية المعجمية؛ فيثري ذلك المعنى الاستدلالي، ويزيد من الشحن الدلالي عبر السياقات والمقامات من الناحية الوظيفية للغة نصوص الخطاب الشعري المنجز.

3. 3. التجلي الديني

لم يكن الأثر الديني بعيداً في استحضاره بأدب الأوبئة؛ لأن النفس الإنسانية تصغر أمام عظم البلاء؛ فتلجأ إلى جوانب مقدسة تعتقد فيها النصرة والشفاء من البلاء، فكلما اشتد الوباء زاد التجلي الديني في رجوع الإنسان لكينونته الآدمية، وتجلي طاقاته التعبيدية في أسمى تصوراتها أمام عظم مصاب فايروس كورونا، فيصاحب أدب الأوبئة ارتفاع منسوب الشعور الديني والاعتقادي عند البشر، وتبرز فاعلية الروح المقدسة من الذات البشرية في جوانب الإيمان العميق

وتداولياته عبر سياق المنجز الشعري، ومن ذلك قول الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..."(الوائلي، 2020: نت):

جنديٌّ لله العظيم بأمْرِهِ... تختارُ منهمْ ما يشاءُ وتَقبرُ
فأتاكَ بالأكفانِ جيشٌ أبيضٌ ... فيه البواسلُ لا تُضامُ وتُقهرُ
عُزْلاً تصدّوا لا سلاحَ لكفّهمْ... رغم المنون من الوغى لم يَنْفروا

يتحدث الشاعر عن حالة المواجهة الطبية لفايروس كورونا، ويصور الإيمان العميق في المنتج الشعري النابع من أن الوباء مسير من عند الله، يسلطه على من يشاء من عباده، فتلك حقيقة دينية لا مفر منها ولا ملجأ فيها غير الله، فالموت يرسله الله للعباد وله أسبابه، فيمثل فايروس كورونا سبباً مباشراً للموت، فيصطفى فيه الله من يشاء ويبتلي من يشاء؛ ليمحص الرابط الديني في القلوب، وتتجلى المحبة والعرفان في الشدة والرّخاء للواحد الدّيان، فتلك أوامر الله تسري بين البشر، وتسيّر حياة الناس لما فيه الخير والصلاح، وتصحح الأوبئة أحوال الناس وعلاقتهم بربهم الذي يعبدونه، ويؤكد على أهمية التمثيل الروحي للدين، ونبذ التعلق بزخرف الحياة ومكوناتها المادية أمام عظم وباء كورونا وانتشاره على نطاق واسع بين سكان الأرض، ويمثل ذلك زفرات إيمانية مشحونة بتوجه ديني له استدلالاته وتصوراته في توحيد رب السماوات والأرض أمام الجوائح، يقول الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "طاف الوباء بقاع الأرض"(الوائلي، 2020: 10):

هذا بلاء لعل الناس من فزع ... لله تخشع حتى تنجلي الخطب
نستغفر الله حين الموت يحضرنا ... ونقرأ الذكر حين الداء يلتهب
تضرعوا يا عباد الله وابتهلوا ... يأتي الخلاص ويعلو للشفا السبب
يا كاشف الضر عن أيوب حين دعا ... اكشف بلاءك فالأرواح تنتحب
أغث عبادك ما للناس من حيل ... وقد تفشى بهم من ظلمهم نكب
بالصبر والطب والإيمان نهزمه ... وبالدعاء وعند الله نحتسب

تناول الشاعر الحدث الأدبي لوباء كورونا بصورة دينية برزت دلالاتها في سياق قصيدته الشعرية؛ فيوحي ذلك بعمق الحس الإيماني، والشعور الوجداني العقائدي، ويرسل الشاعر رسالاته الأدبية عبر نصوصه في ضرورة الرجوع إلى الله، والخوف منه، والعمل على خشيته في السرّاء والضراء، والإكثار من الاستغفار؛ لأن الأوبئة تحل بكثرة الذنوب والمعاصي التي يقترفها البشر، فتمثل التعابير السياقية حالة فريدة من الإيحاء المباشر النابع من صدق التعبير، وصراحة القول أمام انتشار الوباء.

وقد أبدع الشعراء في البوح بالرسائل الدينية والإيمانية في متن نصوص الخطاب الشعري، والحديث بروح الجماعة أمام صغر الكون، والركوع والخشوع بين يدي الله (ﷻ). وتمثلت النداءات الإنسانية الدينية في الأوبئة في محاور موضوعية لها حضورها اللّافت في بناء النصوص وتكوين موضوعاتها، واستعراض مكنوناتها السياقية أمام جمهور المتلقين، وانبرت الدعوات الإيمانية الصادقة بالصبر والاحتساب كقيم روحية لها مكانتها في مواجهة مخاطر الأوبئة، ويمثل الجانب الديني مرجعاً سياقياً تداولياً تبرز من خلاله الحالة الشعورية تجاه الوباء، والتي يترجم فيها الأدباء انطباعاتهم وتصوراتهم ورؤاهم حول الوباء الذي يتفشى في المجتمعات الإنسانية. يقول الشاعر إسماعيل خوشنار في قصيدته "كورونا"(خوشنار، 2020: 10):

وآيات من الضغينة
خنادق أخفت الأنام
ومن في الخلف
عفا نفسه من ثواب
(فليقل خيراً)
واختار صمتاً طويلاً

سنه الله لعباده
(قوا أنفسكم وأهليكم)
وكفاكم ربكم
وكل أمر سيكون آمناً
وخيراً ويسيراً

يُلاحظ الاستحضار الواعي لطبيعة الآيات القرآنية التي أدرجها الشاعر في سياق نصوص خطابه بشكل صريح له رسائله في السياق الكلي للموضوع الشعري الذي يتناوله في صلب قصيدته، ويمثل ذلك مرجعية نصيّة لها رسائلها وارتباطاتها الروحيّة أمام مخاطر وباء كورونا؛ نظراً للتأثير الذي يمتلكه النص الديني؛ فقد وظّف الشاعر الحديث النبوي في قول الرسول(ﷺ): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"(البخاري، 1422: 11/8)، واستحضر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، ويبرز ذلك المعنى ويوضحه أمام المتلقي، ويدعم حجيّة النص الشعري ضمن سياقاته المختلفة، ويمنحه سلطة حجاجية لها انعكاساتها في الاستدلال والبرهان على المرتكز الدلالي لطبيعة وباء كورونا الذي يتحدث عنه الشاعر.

3. 4. التجلي التاريخي والسياسي

وظّف الشعراء وباء كورونا في صورة تاريخية وسياسية من خلال سياق نصوصهم وإنتاجاتهم الشعرية، ويرجع ذلك إلى العلاقات الرّاهنة والحالة التاريخية والسياسية السائدة، وارتباطاتها بين الدول والشعوب والمجتمعات، فقد وحَّد الوباء أمم الأرض وشعوب العالم في سبيل مواجهته والتخفيف من حدة

انتشاره، بعد أن ظهر أول مرة في مدينة ووهان في جمهورية الصين الشعبية، ومنها انتقل إلى شتى أصقاع الأرض، فانبرى الشعراء إلى تصوير ذلك وتداوله في شتى السياقات والمقامات، فقال الشاعر سالم قريشع في قصيدته "جائحة كورونا"(قريشع، 2020: نت):

وزائرة بكل هندام تغشت ... وفي كل صوب من الدنيا تفشت
من الصين لا الصومال جدّت ... في كل إقليم سدولاً وعدّتْ
مأكولها بشر من الرئتين قدّت ... فويل لمن جاءت إليه وهدّتْ
بدت الحياة كأنها قد وسدت ... ألم الزمان بحلها وتكدرت

يبيّن الشاعر آثار وباء كورونا القاتل وانتشاره الواسع بين أقطار الدول والأقاليم والبلدان، فهي لم تميز بين إنسان وإنسان، إنما شمل الوباء كل مواطني الدول، ويمثل ذلك نداءً تاريخياً وسياسياً لبني البشر؛ للتوحد ونبذ الخلاف السياسي، وتظافر الجهود، والتعاون في سبيل مواجهة وباء كورونا، فظهوره في تجلي تاريخي وسياسي ينبع من حالة التجسيد والتمثيل والتصوير التي درج الشعراء على توظيفها في سياق أدب الأوبئة، وذكر أقطار بعينها تتعرض للكوارث والأوبئة والأمراض، وقال الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "طاف الوباء بقاع الأرض" (الوائلي، 2020: 10):

هذي العواصم أشباح مكدرة ... والحجْر فيها سجون حولها الوصب
طال الوباء كنار كل عاصمة... وقد تعالى على بنيانها الخشب
أين المفر وهذا الداء يسبقهم ... لأي ركن لقاهم حيثما انقلبوا

يصور الشاعر حالة عواصم الدول وما فعله بها وباء كورونا، فقد أقفرت من الزحام والسكان، وأصبحت خالية كأنها مدن أشباح، وتحولت البيوت لأكوام من الحجارة والأسمنت، وأضحت العواصم والدول سجونا كبيرة، فوباء كورونا يطارد الناس في البر والبحر والجو، وانتشر الرعب وعمّ البلاء أمام هذا الوباء،

وأصبح أهل الساسة والحل والعقد في حيرة من أمرهم، ولكن أصحاب الفضل من الأطباء لهم رسالتهم التاريخية والإنسانية الخالدة عبر الزمن، الذين انبروا لمواجهة البلاء والتخفيف من حدته، ويجسد السياق التاريخي والسياسي في أدب الأوبئة حالة الصراع بين الأفراد والجماعات في ظل الانتشار المتسارع للوباء، ويصوّر حالة الأنانية والجشع بين الدول والأقاليم وما يتبع ذلك من أساليب غير إنسانية.

3. 5. التجلي المقاوم

برز وباء كورونا في سياق مقاوم مبني على التحدي والمواجهة، وتجسد هذا السياق في التعبير الشعري ضمن مختلف مقامات الخطاب الذي قدّمه الشعراء حول فايروس كورونا، والمقاومة طبع متأصل في الذات الحرة التي تهب لنصرة إنسانيتها وآدميتها، فتسابق الشعراء لرسم الصور وبث كلمات المواجهة والمجابهة لفايروس كورونا ومؤثراته التي تتعلق به، فقال الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..."(الوائلي، 2020: نت):

كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ ... جُلَّ الرِّقابِ وبالقصيبةِ ينخرُ
شتّت جمعَ العاملين كأنّهمْ... حمرٌ مُطاردةٌ وأنت القسْورُ
لا خيرَ فيهمْ حين تحْتدمُ الوغى... فسلاحهمْ خشبٌ بنارٍ تسعرُ
هربوا جهاراً كالمُساقِ لحتْفِه... أملَ النجاة وفي الفؤادِ الخنجرُ
لكنْ تُلاقيهمْ وأنت مُلبّدٌ... بصخور سجّيلٍ عليهمْ تمطرُ

لقد فتح الشاعر حوراً مع الوباء بشكل مباشر، وجسّد بذلك حساً مقاوماً يتجذر في نفسية المبدع، وهو الأقدر على حياكة المشهد وتشكيل الصورة الكلية المتكاملة حول طبيعة الوباء وما يتعلق بها من آثار حياتية، واستدعى الشاعر حالة النفور والجموح أمام ضربات فايروس كورونا ومجرياته الساحقة الماحقة، فوظف التناص في السياق الشعري من قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ

قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: 50، 51]، ويؤكد ذلك على حالة الهيجان والاضطراب التي يبديها الإنسان في مقاومة هذا المرض، واستدعاء غرائز المواجهة في سبيل ذلك، ويبرز الحس النقدي لدى الشاعر في تصوير الشخصيات الكرتونية، وأسلحة الخشب في مواجهة الوباء القاتل، ويعيد ذلك تشكيل الصورة الجمعية والثورية ذات المعتقد الصحيح التي تنفع المجتمع بعيداً عن حالة اللهو والمجون وسيف الشهرة، واستعمل الشاعر ألفاظا ومفردات ذات دلالات سياقية تتوافق مع طبيعة التصوير وتداولياته عبر نصوص الخطاب وأطروحاته، وقال الشاعر أيضاً في قصيدته "طاف الوباء بقاع الأرض"(الوائلي، 2020: 10):

إن البلاء إلى الإنسان مدرسة ... والمؤمنون هم رغم الأذى كسبوا
للأنقياء هو المنجا بما صبروا ... وللجناة مجازاةً بما ارتكبوا
كل ابتلاء سيأتي بعده فرجٌ... مثل البراري تشافي ملحها السحب
سيذهب الداء لكن بعده محن... حين الحياة علاها الظلم والكذب
لا تجزعن إذا ما الداء محتكم ... أو تقنطن إذا ما الموت منتشب
ما مات عبد وإن في الموت مولده... إلا بأمر من الجبّار مكتتبُ

يبيّن الشاعر حالة الإيمان بالقدرة على مقاومة الوباء ومجابهته، ويكشف عن معادن المخلصين، واليقين الكامل بأن هذا الوباء سينجلي، تلك قدرة إيمانية تمنح الإنسان الحياة والقدرة على مكابدتها في ظل انتشار الأوبئة، ولم يعد ثمة معنى للاستسلام، إنما هي محن يتمحص فيها السلوك البشري الذي إن صبر ظفر بالنجاة من الوباء والابتلاء، وتلك معانٍ عميقة في النفس الإنسانية التي يعبر عنها الشاعر في سياق نصوص خطابه الشعري، ويدلل الحس المقاوم على محوريته في رسم الصورة الحيّة لطبيعة الأوبئة وتداولياتها بين المبدعين.

3. 6. التجلي الاقتصادي.

تأثرت حياة الناس ومعيشتهم بفعل وباء كورونا، وأثر ذلك على نواحيهم المادية ومجريات أعمالهم الاقتصادية، فتحدث الشعراء عن فايروس كورونا في سياق اقتصادي يبيّن من خلاله الشعراء الخسائر التي تعرض لها القطاع الاقتصادي للأفراد والجماعات؛ فقال الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ..."(الوائلي، 2020: نت):

لمْ يبقَ فنّانٌ وصاحبُ شهرةٍ... أو لاعبٌ أو واعظٌ أو عسكر

لمْ يبقَ ميسورٌ ومالكُ سلطةٍ ... أو كاتبٌ أو منْ يَذيعُ وينشرُ

يبيّن الشاعر حالة العوز والفقر في رأس المال البشري والمادي على السواء، فهذه تمثلات لها حضورها في ميزان الاقتصاد المعاصر، وتناول الشاعر في سياق غير اعتيادي حالة الزيف التي تحياها المجتمعات البشرية في تخليدها وتمجيدها لذوات لا تنفع وقت الأزمات والكوارث، وتداعياتها على حياة الناس واقتصادهم، فانعدمت فوارق الطبقات والمميزات الاقتصادية أمام الوباء، وأصبح الناس سواسية لا فرق بين كبير أو صغير، وبين غنيّ أو فقير، إنها سنة الابتلاء في الخلق التي تعيد الناس إلى أصولهم وبساطة حياتهم، فقال الشاعر نوري الوائلي في قصيدته "طاف الوباء في بقاع الأرض"(الوائلي، 2020: 10):

لا ينفع الداء طب جاد مشرطه ... أو ينقذ المال من للمال يغتصب

أين الجيوش وذكر الداء أفزعها ... أين العلوم وقد حارت بها النخبُ

فليعرف المرء مهما طال مقدرةً... للجهل والعجز والإملاق ينتسب

يصور الشاعر حالة أهل المال من رواد الاقتصاد عبر المجتمعات والعالم، ويطرح تساؤلات بدون جواب لها عمقها في السياق النصي، فهي تستدعي استجابات من جمهور المتلقين، ويدعم ذلك أسس التأويل وتحديد دلالات النص

عبر تواصل أقطاب العلمية الإبداعية (المبدع، المتلقي)، ويبيّن الشاعر أن أصل الإنسان منسوب للقصور والإملاق لولا حكمة الله التي منحته وأمدَّته بأسباب الحياة وإمكاناتها الاقتصادية، ويُلاحظ أن أدب الأوبئة يكشف الحالة الاقتصادية، ويصوّر نهاية الجشع والاحتكار، وسيادة العدالة النسبية بين أبناء البشر عند حلول الوباء وانتشار بلاء كورونا في العصر الحديث.

3. 7. التجلي الإعلامي

يقوم الخطاب الشعري في أدب الأوبئة بدور إشهاري إعلامي يُبنى على استجلاء مضامين الوباء وتداعياته وآثاره، فلم يعد للشهرة والسيادة سبيل أمام انتشار وباء كورونا؛ لأن الأوبئة تعيد الإنسان إلى دائرته التي خُلِقَ من أجلها ويدور في فلكها، وبالأخص أمام الشعور بالزوال والفناء، فقال الشاعر إسماعيل خوشنار في قصيدته "كورونا"(خوشنار، 2020: 10):

كورونا
احتكر الشهرة
وبات على الألسن
كغُول على السفينة
الأيادي اتّخذت
من القفازات حصنا
والأعين في خدر
تخاف أن تستبين

يبيّن الشاعر انتشار كورونا وأخذه للبعد الإعلامي بين شعوب الأرض وأممها، فذاع صيت الوباء بنشر الرعب والخوف والهلع بين الناس، وهذا في حد ذاته تجلٍّ إعلامي خالص، ومن هنا تقوم الشائعات بدورها في إعادة تشكيل عقول الجماهير وتوجيههم في ظل الانتشار الواسع للأوبئة، وقد استحضر الشاعر حالة التخبط الإعلامي في تناصه الأدبي مع أسطورة الغول، ذلك الكائن الخرافي الذي

يُعرف في الثقافة العربية، وتحدث الشاعر في سياق خطابه الشعري عن الحالة الطبية وما يتعلق بفايروس كورونا وانتشاره بين الناس.

ويمثل الإعلام عاملاً مهماً في توجيه الطاقات ونشر الوعي للحدّ من انتشار الوباء، وضبط السلوك المجتمعي والإجراءات الاحترازية العامة المرتبطة بمواجهة الأوبئة والحد من آثارها في حياة المجتمعات الإنسانية، وفتح أفق التعاون بين الجهات المسؤولة وعامة الجمهور.

خاتمة

تناول هذا البحث أدب الأوبئة وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري المعاصر، واستعرض أدب الأوبئة من خلال فايروس كورونا، ومن خلال الغوص في إنتاجات السياق الشعري وإفرازاته حول تجليات كورونا في الخطاب المنجز، والتي برزت في تجلي اجتماعي وطبي وديني وتاريخي وسياسي ومقاوم واقتصادي وإعلامي. واتّضح مما سبق أن أدب الأوبئة من العلامات الفارقة في تاريخ الأدب العربي عبر الأزمان والعصور، ويمثل حساً إنسانيا له نزعاته وتوجهاته وأساليبه، ويكتنز صورة واقعية حيّة في استعراضه لطبيعة الوباء ومكوناته وآثاره على حياة الناس، ويمثل ذلك صدقاً تعبيرياً في إرساء الدلالات، وتكوين شيفراتها عبر أبنية نصوص الخطاب وسياقاته ومقاماته التي يتم من خلالها إيصال رسائل النصوص، وتبليغ مقاصدها بطريقة تفاعلية بين أقطاب العملية الإبداعية(مبدع، نص، متلقي)، ويُضفي ذلك مرجعيات نصيّة كالتناص الذي تظهر فيه النفس الإنسانية على طبيعتها، ويبرهن أيضا على محورية الاستدلال والتصور في التعبير الشعري عن الأوبئة، كما ينعكس على المرتكزات التأويلية في البُنى اللسانية واللغوية، وأنساق النص التي تنقل دلالة الوباء المباشرة وغير المباشرة لجمهور المتلقين، وعلى ذلك يتميز أدب الأوبئة بأنه أدب تفاعلي له دوائره،

وتقاطعاته، ومضامينه مع مختلف المعطيات والسلوكيات البشرية، ومحتوياتها الحضارية في ثقافات الأمم والشعوب.

النتائج والتوصيات

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات ندرجها فيما يلي:

أولاً- النتائج:

1- كثافة المنتج الإبداعي حول الأوبئة والأزمات والكوارث في تاريخ الأدب العربي، وتنوع مصادره، ورسائله، ومقاصده، ومشكِّلاته النصيّة والخطابية التي يشتمل عليها.

2- يبرز أدب الأوبئة التحولات الرئيسة ومعطياتها في المجتمعات البشرية، ويبرهن على مختلف الأطروحات وتداولياتها بين أبناء المجتمعات وفق تصوراتها المختلفة وتصرفاتها الحضارية، وكيف أثّرت هذه التحولات على البنية الفنية للأجناس الأدبية ومعماراتها.

3- محورية الحس الإنساني، وارتفاع القيمة الوجدانية لمجمل التعابير الشعرية وسياقاتها الخطابية حول وباء فايروس كورونا في الشعر العربي المعاصر.

4- تنوع التجليات السياقية حول وباء فايروس كورونا في نصوص الخطاب الشعري وأبنيته، وتمثلت في تجليات اجتماعية وطبية ودينية وتاريخية وسياسية ومقاومة واقتصادية وإعلامية؛ لها تأثيراتها في تكوين التوجهات، وتبليغ الدلالات، وتدعيم مشكِّلاتها التي ترتبط بالوباء ومكوناته.

5- تعدد أدوات السياق الشعري في الخطاب عبر المكونات اللغوية، والمرجعيات النصّية لأنساق الخطاب واستدلالاته وتصوراته التأويلية التي تسهم في توليد دلالاته حول الأوبئة ومعطياتها ومضامينها.

6- يبرهن المعطى الشعري لأدب الأوبئة على مركزية الدلالة، واختلاف درجات تأويلها في صلب نصوص الخطاب الأدبي ومشكِّلاته وقضاياه البنيوية والتداولية.

ثانياً: التوصيات.

1- رعاية الإنتاج الأدبي حول وباء كورونا وتنظيمه وفق محددات وضوابط، واستثمار التواصل الرقمي في ذلك، وتتويج الجهود عبر إصدارات لها مكانتها في تاريخ الأدب العربي المعاصر، وتثبيت التحولات الموضوعية والفنية في بنية الأجناس الأدبية.

2- ضرورة عقد أنشطة وفعاليات من مؤتمرات علمية، وأيام دراسية، ومحاضرات إرشادية، ومواسم ثقافية، وندوات فكرية حول أدب كورونا مضموناً وشكلاً عند المبدعين العرب، والتركيز على تقنيات الخطاب وأساليبه في سياق نصوص الإنتاج الإبداعي، وقضاياه ومسائله.

3- صناعة منصة أدبية محوسبة ترعى الإبداع الأدبي، وتسخير الإمكانيات الإعلامية والأدوات الحاسوبية في خدمة ذلك وفق مشروع متكامل الرؤى ومتوافق في الأدوات والأساليب.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير(1997م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.
2. ابن الوردي، عمر (2006م): ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة.
3. ابن تغري بردي، يوسف(1990م): حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد عز الدين، عالم الكتب، ط1، القاهرة.
4. أدونيس(1985م): الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت.

5. بي سي (2020م): فيروس كورونا، كيف تجسدت الأوبئة في روايات وأعمال أدبية؟، https://www.bbc.com.
6. البخاري، محمد(1422ه): صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1، القاهرة.
7. بوخالفة، فتحي(2010م): شعرية القراءة والتأويل، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد 2010م.
8. خوشنار، إسماعيل(2020م): مجلة البديل، الاثنين 01 جوان، العراق.
9. شعبان، هيام(2004م): السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، ط1، الأردن.
10. عبد الرزاق وفياض، عمر وسارة (2020م): فيروس كورونا: الأوبئة في كتابات المؤرخين وخيالات المبدعين، https://www.bbc.com/arabic/art.
11. عيد، كمال(1978م): فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، ط1، تونس.
12.قريشع، سالم (2020): كورونا، https://web.facebook.com/salem.quraisha.
13.المعري، أبو العلاء(2008م): اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، السعودية.
14.الملائكة، نازك (د.ت): قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط5، بيروت.
15.ناظم، حسن(1994م): مفاهيم الشعرية- دراسة مقاربة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء. وبيروت.
17.الوائلي، نوري (2020م): كوفيدُ رفقاً ما لسيفك ينْحرُ...، موقع بوابة الشعراء https://www.poetsgate.com.
18.الوائلي، نوري(2020م): طاف الوباء بقاع الأرض، مجلة المرايا، السنة الثانية، العدد (20)، آذار، العراق.